الكمائن في الحروب الرومانية خلال العصر الجمهورى

(٢١٨ق.م-٢٩ق.م) (*)

مركز البحوث
والدراسات التاريخية

د/ كريمة رمضان رفاعي رمضان
أستاذ التاريخ اليوناني والروماني المساعد
كلية الآداب –جامعة كفر الشيخ

يعد نصب الكمائن من أهم الأساليب التي تُستخدم في بعض الحروب لتحقيق ضربةٍ قويةٍ للعدو. والكمين يعني في اللغة العربية: مكانًا لِلِاخْتِفَاءِ وَالتَّرَبُّصِ، وهو مشتق من المَكْمَن وهو موضع يُختَفَى فيه ولا يُفطَن له، فعندما يُقال تم نصب كمين فهذا يعني أنه تم اختيار مكان من أجل الاختفاء وَالتَّرَبُّصِ للقيام بهجوم في غفلة من العدو. والكمين أيضًا هو الشَّرك أو الْمِصْيَدَةُ، أو الفَخُّ(١). أما في اللغة اليونانية فإن نصب الكمين مشتق من الفعل "ἐνεδρεύω"، أو الفعل "λοχάω" أما الكمين كاسم فهناك أكثر من لفظ يعبر عنه مثل: "ἡ παγις " أو "ἡ ἐνέδρα" أو "ὁ λόχος "(٢) أما في اللغة اللاتنية فنصب الكمين مشتق من الفعل"insidior". أما الكمين نفسه فهو يعني: "Laqueus" أو"insidiae "(٣).

ولما كان الجانب السياسي للرومان يحفل بالعديد من الحروب فقطعًا شهدت هذه الحروب نصب الكمائن سواءً من الرومان لمحاربيهم أو بالعكس، ولكن نظرًا لعمليات التوسع التي كان يقوم بها الرومان، فقد كانوا عُرضة بشكل

(*) مجلة "وقائع تاريخية" عدد يناير الجزء الأول ٢٠٢٠.

كبير لنصب الكمائن لهم من قبل الشعوب التي يحاربونها، وكان من أكثر الشعوب البارعة في نصب الكمائن للرومان القبائل الغالية (الكلت) وبخاصة في الحروب التي دارت بين الطرفين في الفترة الممتدة من ٢٢٥ق.م إلى ٢٢٢ق.م[٤].

وكان الغاليون في حروبهم ضد الرومان ينصبون كمائنهم في أماكن الأشجار (ὁ ὑλώδης τόπος) أي الغابات؛ ولذا جاء على لسان المؤرخ بوليبيوس (٢٠٠ق.م-١٢٠ق.م) إن الرومان كانوا شديدي القلق والخوف في حروبهم عند المرور بالغابات بسبب كثرة الكمائن التي نُصبت لهم من قِبل الغاليين فيها، وفي المقابل كانوا لا يشعرون بأي قلق مطلقًا من الأماكن المستوية الخالية من الأشجار[٥].

ويُفهم مما سبق: أن الرومان كان ينتابهم القلق والحذر أثناء المرور على الغابات في حروبهم مع الغال خشية نصب الكمائن لهم فيها، وقطعا كان هذا القلق يجعلهم أكثر حيطة، وبالتالي إذا ما أراد أيٌّ خصم الإيقاع بهم من خلال نصب الكمائن فلا بد أن يفكر في أماكن جديدة بعيدة عن توقعاتهم (أى أماكن لا يتخذون تجاهها أي حذر)، وهذا ما حدث بالضبط خلال الحرب البونية الثانية عام ٢١٨ق.م، وبخاصة معركة "تريبيا" Trebia التي وقعت في نفس العام (أي عام ٢١٨ق.م)[٦]؛ حيث ذكر المؤرخ بوليبيوس أن القائد القرطاجي هانيبعل (٢٤٧ق.م-١٨٢ق.م) استغل حذر وقلق الرومان من الغابات خشية نصب الكمائن فيها، وبدأ في نصب كمائن للرومان في أماكن غير متوقعة بالنسبة لهم بعيدًا عن الغابات[٧].

وبناء على ذلك يمكن القول: إن موقعة تريبيا عام ٢١٨ق.م قد شهدت بداية تغيير مفهوم الرومان عن مكان الكمين، وبدأوا يعرفون أماكن أخري على يد القرطاجيين، ومن ثم أخذوا احتياطاتهم، وتعلموا أيضًا نصب الكمائن في أماكن غير مألوفة لخصومهم.

ومن هنا يأتي سبب اختيار الباحثة لموضوع الدراسة " الكمائن في

الحروب الرومانية خلال العصر الجمهورى بداية من عام ٢١٨ق.م"، في محاولة متواضعة لرصد الكمائن التي وقعت خلال فترة الدراسة وتوضيح إلى أي مدى استفاد منها الرومان عن طريق اتخاذ احتياطات لمواجهتها، وكيف أثرت هذه الكمائن على فكرهم العسكري في محاربه خصومهم.

وبناء على ما سبق، يمكن معالجة هذا الموضوع من خلال أربعة محاور أساسية، وهي: المحور الأول: اختيار مكان الكمين، والمحور الثاني: تجهيز الكمين، والمحور الثالث: الهدف من نصب الكمين، والمحور الرابع: احتياطات الرومان لمواجهه الكمائن.

ولكن قبل المضي في تناول هذا الموضوع، يجب الإشارة إلى ثلاثة أمور مهمة وهي:

- **الأول** : أن هناك إشارات مصدرية كثيرة عن نصب الكمائن في كثير من الحروب خلال فترة الدراسة[٨]، إلا أن هذه الكثرة من الإشارات لا تسمن ولا تغنى من جوع ؛ لأنها لا تحمل تنوعا، ولا تفاصيل يمكن الاعتماد عليها فلا يتعدى الكثير منها سوي إشارة إلى وجود لفظ كمين دون توضيح مكانه أو كيفية الإعداد له، أو الهدف منه؛ ولذا سوف تستبعد الباحثة هذه الكمائن أثناء تناولها للموضوع، أما ما تبقي من الكمائن التي تحمل تنوعا وثراءً والتي تم تناولها من قبل مؤرخى هذه الفترة بشئ من التركيز والاهتمام فهو عدد قليل مقارنةً بكثرة الإشارات وهي التي سوف يتم الاعتماد عليها في تناول هذا الموضوع الأمر الذي يشكل صعوبة أمام الباحثة؛ لأنه لا بد من فهم وتحليل هذه الإشارات القليلة في محاولة لتناول هذا الموضوع.
- الأمر الثاني: تحتل الكمائن التي نصبت من قبل القرطاجيين للرومان في الحرب البونية الثانية نصيبًا كبيرًا في هذا البحث، وهذا أمر طبيعي نظرا لتوفر وتنوع المادة المصدرية التي تناولت هذه الكمائن، فضلًا على أن القرطاجيين هم من بادروا بنصب كمائن في أماكن غير مألوفة للرومان بداية من عام ٢١٨ق.م.

- أما الأمر الثالث: أنه أثناء تناول هذا الموضوع لن تلجأ الباحثة إلى تكرار المعلومات الموجودة فى العديد من المراجع العربية والأجنبية عن الحروب (من حيث أسبابها وأحداثها، ونتائجها) التى كان يحدث فيها نصب الكمائن، إلا لضرورة مع الإشارة إليها فقط فى الحواشى، فى محاولة للتركيز بشكل أساسي على موضوع الدراسة.

أولًا: اختيار مكان الكمين:

كانت أولى خطوات الإعداد للكمين هو اختيار مكان يتم التمركز والاختباء به لتحين الفرصة المناسبة للانقضاض على الخصم؛ لذا يعد اختيار المكان المناسب لنصب الكمين أهم وأخطر مراحل الإعداد له، وكان مكان الكمين جزءًا من أرض المعركة يتم اختياره دون غيره؛ لأنه يضمن عنصر الاختفاء للجنود، كما أن حجمه لا بد وأن يتناسب مع عدد الجنود المختبئين به، ولما كان عام ٢١٨ق.م شاهدا على بداية معرفة الرومان لأماكن جديدة بخلاف الغابات لنصب الكمائن لهم، فقد شهدت الفترة التاريخية التي يغطيها البحث (٢١٨ق.م-٢٩ق.م) تنوعًا في اختيار أماكن الكمائن، **ومن أهم هذه الأماكن:**

١- الأراضي المكشوفة:

كانت الأراضي الخالية من الأشجار من أهم الأماكن التي لم ترد على ذهن الرومان لإمكانية نصب كمين لهم بجوارها، وهذا ما استغله القائد القرطاجي "هانيبعل" في الحرب البونية الثانية والتي انطلقت أولي جولاتها عام ٢١٨ق.م، وكانت أولي المناوشات في هذه الحرب بين الطرفين متمثلة في موقعة تيكينوس Ticinus والتي تمكن هانيبعل فيها من إلحاق الهزيمة بالقوات الرومانية، إلا أن الخسائر الرومانية كانت محدودة؛ ومن هنا بدأ يفكر في الجولة التالية ليلحق بهم خسائر فادحة(٩).

كانت الجولة التالية بين القرطاجيين والرومان في نفس العام التي

انطلقت فيه الحرب البونية الثانية أي عام ٢١٨ق.م، حيث كانت موقعة تريبيا بجوار النهر الذي يحمل نفس الاسم، وقبل حدوث الاشتباك بين الطرفين المتمركزين على جانبي النهر والمتمثلين في: الرومان بقيادة قنصلين عام ٢١٨ق.م القنصل تبريوس سيمبرنيوس لونجيوس Tiberius Sempronius Longus (٢٦٠ق.م-٢١٠ق.م)، والقنصل بوبليوس كورنليوس سكيبو Publius Cornelius Scipio من ناحية ، والقوات القرطاجية من ناحية أخرى(١٠) بدأ هانيبعل في التخطيط لكمين للقوات الرومانية ليلحق بهم قدرًا كبيرًا من الخسائر.

كان هانيبعل لديه علم مسبق أن الرومان يتخذون حذرهم عند المرور بالغابات نتيجة كثرة الكمائن التي نصبها لهم الغاليون(١١)، ومن ثم فقد كان من الصعب نصب كمين في الأماكن كثيفة الأشجار، لذا أخذ يتفقد المكان المحيط به لاختيار مكانٍ للكمين، واسترعى انتباهه وجود قطعة أرض بين المعسكرين خالية من الأشجار، ولا يوجد بها سوى مجري مائي صغير يمكن وصفه أنه جدول، أو قناة مائية ῥεῖθρον بها مياه ضحلة βραχέα وكان لهذا الجدول ضفتان مرتفعتان تنمو عليهما النباتات الشوكية ἀκάνθας ونباتات العليق βάτους بكثافة، وعندما رأي هذا المكان شعر أنه وجد ضالته المنشودة(١٢).

وبالنظر للمكان الذي اختاره هانيبعل لنصب كمين موقعة "تريبيا" نجد أنه يتوافر فيه عدة شروط مهمة تساهم في نجاح هذا الكمين منها: خلو المكان من الأشجار الكثيفة، وبالتالى سوف يُشعر الرومان بالطمأنينة عند المرور به، ولن يجعلهم حذرين بل على العكس سوف ينطلقون في هذا المكان دون خوف أو قلق أو حذر(١٣)، كما أن هذا المكان يحقق شرط حجب الرؤية عن الطرف الآخر، فوجود النباتات على جانبي الجدول وبخاصة نبات العليق المعروف بارتفاعه الذي يصل لحوالي مترين(١٤)، مع الكثافة والتلاحم سوف يحقق شرط حجب الرؤية، فضلًا عن وجود النباتات الشوكية التي تزيل من الأذهان إمكانية أن يختبىء أحد فيها.

ومما سبق يتضح: أن العامل الأساسي وراء اختيار هانيبعل لهذا المكان وجود تلك المساحة الواسعة الخالية من الأشجار التي شجعت الرومان على عبور النهر دون قلق أو خوف بسبب عدم وجود أشجار كثيفة قد يختبىء فيها القرطاجيون لهم، أي أن هذه المنطقة قد أعطت للرومان مؤشرًا للطمأنينة، وبمعني أخر كانت هذه المنطقة الخالية من الأشجار هي الطُّعم لجر الرومان لمكان الكمين؛ لأنها كانت بعيدة كل البعد عن توقعاتهم .

كما أن وجود المجري المائي وضفتيه المرتفعتين واللتين تنمو عليهما النباتات بكثافة كان عاملًا مساعدًا في اكتمال اختيار المكان، وبرغم كونه عاملًا مساعدًا، إلا أن بدونه ترى الباحثة، أنه كان يصعب على هانيبعل نصب الكمين في هذا المكان الخالي من الأشجار؛ لأنه ببساطة سوف يكون جنوده مكشوفين، ومرصودين للرومان ويمكن رؤيتهم، ولكن في النهاية قد تضافر العاملان معا وساعد وجودهما على اختمار الفكرة في ذهن هانيبعل ليقع اختياره على هذا المكان لينصب الكمين فيه.

على أَيِّ حال بفضل هذا الكمين حدثت خسائر بشرية فادحة للرومان وصلت لحوالي ثلثي الجيش، ولم يتبق سوي عشرة ألاف هم من حملوا للرومان أنباء هذه الهزيمة الثقيلة، ولقد كان عنصر المفاجأة في هذا الكمين هو الأهم على الإطلاق[١٥]؛ لأن الرومان بعد أن عبروا النهر وأصبحوا في مواجهة المشاة في جيش هانيبعل وتيقنوا من الهزيمة، لم يجدوا أمامهم سوي المكان الخالي من الأشجار كي ينطلقوا باتجاهه أملًا في النجاة، وكانوا مطمئنين وهم يفرون من تعقب المشاة لهم، ولكن كانت المفاجأة في ظهور أفراد الكمين المختبئين بين الأشواك والعليق على ضفاف المجري المائي الصغير، لينجحوا في إثارة الذعر والخوف لدى الجنود الرومان ويتمكنوا من حصد مزيد من الأرواح، كي يضع هذا الكمين اللمسة الأخيرة والحاسمة في إنهاء معركة تريبيا لصالح القرطاجيين[١٦].

٢-الممرات الضيقة:

شهد العام التالي في الحرب البونية الثانية أي عام ٢١٧ق.م قدرة هانيبعل على اختيار مكان آخر غير متوقع من قبل الرومان لنصب كمين لهم، وقدرته على استثمار الموقع الجغرافي للمكان لصالحه، حيث اختار أحد الممرات الضيقة بجوار بحيرة ترازمين، فبعد موقعة تريبيا نجح الرومان في تجميع شتاتهم وقاموا بحشد جيش قوامه مائة ألف مقاتلٍ أبقوا منهم خمسين ألفًا لحماية روما خشية قيام هانيبعل بمهاجمتها، ثم أخرجوا فرقة قوامها عشرة ألاف بقيادة بوبليوس كورنليوس سكيبو ليذهب لإسبانيا لتخفيف وطأة سيطرة القرطاجيين هناك، وفي هذه الفترة تم انتخاب أثنين من القناصل وهما جنايوس سرفيليوس Gnaeus Servilius، وجايوس فلامينوسGaius Flaminius ، والذان تم إرسالهما بصحبة حوالي أربعين ألف مقاتل لمواجهة هانيبعل في الشمال وكان القنصل فلامينوس متسرعا لملاقاة هانيبعل دون استعداد تام [١٧].

أما عن هانيبعل فقد كان أكثر مكرًا ودهاءً من الرومان؛ لأنه بدأ يخطط لنصب كمين آخر يحصد فيه مزيدًا من أرواح الجنود الرومان، ويثير الذعر والخوف في نفوس الجنود المتبقية، وبالفعل بدأ في فحص المكان المحيط به جيدًا حتى وقع اختياره في النهاية على ممر ضيق يوجد بالقرب من بحيرة ترازمين، وهنا يقدم المؤرخ ليفيوس[١٨] وصفًا جغرافيًّا لطبيعة هذا المكان موضحا أن هانيبعل قد وصل إلى بقعة جغرافية كانت مصممة كي تكون في المقام الأول كمينًا ولا تصلح إلا لهذا الغرض؛ حيث توجد بحيرة ترازمين القريبة من جبال كورتونا Cortona وكان يوجد بينهما ممر ضيق للغاية، ثم تتسع الأرض بنهاية الممر لتكون مدخلًا لوادٍ كبير.

ومعني ذلك أن هذا الممر الضيق كانت تحيط به التلال باتجاه البحيرة باستثناء سهل صغير، وكان يبلغ طولة ثلاثة أميال، وقد شكل هذا الممر المحاط بالتلال ومدخله من السهل الصغير شكل حدوة الحصان، على أية حال وقع اختيار "هانيبعل" على هذا المكان ليتمركز فيه هو

وجنوده ونصب فيه الكمين للقوات الرومانية [١٩].

وتم استدراج " فلامينيوس" وجنوده لهذا المكان ولم يعد أمامهم سوي البحيرة وخلفهم التلال الجبلية، ومن ثم أصبحوا محصورين بينهما[٢٠]، ومن هنا كانوا لقمة سائغة لجنود "هانيبعل، وفي غضون ساعات، سُحق عدد كبير من جنود الجيش الروماني وصل عددهم على رواية ليفيوس حوالي خمسة عشر ألف جندى بما فيهم القنصل فلامينيوس [٢١]، في حين أشار أبيان أن فلامينيوس قد فقد حياته في هذا الكمين وبرفقته عشرون ألفًا من الجنود، وتم أسر حوالى ستة آلاف جندى روماني[٢٢].

٣- فــوق التلال:

اختار "هانيبعل" قمة أحد التلال لتكون مكانًا آخر لنصب كمين للرومان، وكان ذلك في عام ٢٠٨ق.م، أي بعد عشر سنوات من اندلاع الحرب البونية الثانية، وفي هذا العام كان قد تم انتخاب القنصل "ماركوس كلاوديوس ماركيلوس" Marcus Claudius Marcellus (٢٦٨ق.م-٢٠٨ق.م) قنصلا للمرة الخامسة، وأخذ بدوره يستعد للمشاركة في الحرب البونية الثانية، فخرج على رأس جيش في نفس العام هو وزميله في القنصلية "كوينقتيوس كريسبينوس" Quinctius Crispinus [٢٣].

تقدم القنصلان ماركيلوس، وكريسبينوس لجنوب إيطاليا وتحديدا في مدينة "لوكري" Locri لمواجهة هانيبعل وجيشه وكان معسكر القائد القرطاجي "هانيبعل" يوجد بين مدينتي "بيتيليا" Petelia و"فينوسيا" Venusia، ولم يكن لدى هانيبعل أي نية لخوض أي معركة في هذا التوقيت، ولكنه عندما علم بقدوم الرومان إلى لوكري، قام بنصب كمين صغير في مدينة بيتيليا، ولم يذكر "بلوتارخوس" لنا أي معلومات عن هذا الكمين باستثناء أن "هانيبعل" وجنوده نجحوا في قتل ٢٥٠٠ من الرومان، وهو عدد كبير للغاية؛ ولذا فَقَد "ماركيلوس" صوابه وقرر إخلاء معسكره للتمركز في منطقة أقرب من هانيبعل وجنوده [٢٤].

وبالفعل عسكر ماركيلوس على مقربة من معكسر هانيبعل، وكان يفصل بين المعسكرين تل تنمو عليه أنواع متعددة من الأشجار، وأسفل هذا التل كان يوجد مجري مائي يضفي بدوره على المكان أهمية كبيرة؛ ولذا عندما رأى هانيبعل هذا المكان فطن لأهميته من الوهلة الأولي، **ولكنه لم يقم باحتلاله وذلك لأمرين:**

- **الأول:** لأنه توقع أن يتخذ الرومان من أسفل هذا التل ممرًّا لهم في محاولة للاستفادة من المجري المائي، **والثاني:** أنه توقع أن يحاول الرومان السيطرة على هذا المكان نظرا لتوفر العشب والماء؛ وما توقعه هانيبعل حدث، إذ دار حوار بين الرومان بضرورة السيطرة على هذا الموقع لميزاته الجغرافية، حيث أشاروا في هذا الحوار إلى إمكانية استخدام هذا المكان كمأوى لهم يمكنهم من مراقبة العدو والتحصن فيه، فضلا عن توفر الماء والعشب به[٢٥].

على أية حال، كان القائد القرطاجي "هانيبعل" أسبق في خطواته وتفكيره من الرومان؛ لأنه نصب لهم كمينًا فوق هذا التل؛ حيث قام بنثر بعض جنوده بين الأشجار الموجودة على التل حتي يضمن عنصر الاختفاء لهم، ثم وضع أحد الرجال التابعين له على قمة التل لرصد تحركات الرومان، وبالفعل عندما تحرك القنصل ماركيلوس وكان بصحبته ابنه، وزميله في القنصلية "كريسبينوس" ومائة وعشرون من الفرسان، أبلغ هذا الرجل القابع فوق التل الجنود الموجودين في الكمين بهذه التحركات[٢٦].

وبمجرد أن اقترب القنصلان من التل الموجود فوقه الجنود المختبئون، انقض من في الكمين عليهم من كل جانب وأثاروا الذعر والرعب فيهم، وأعملوا القتل فيهم، حتى تمكنوا في النهاية من مقتل "ماركيلوس" نفسه بأحد الرماح[٢٧]، وإصابة زميله بجروح دامية توفي على أثرها بعد عدة أيام. وهكذا خسر الرومان قنصلين في حرب واحدة، وهو ما لم يحدث لهم من قبل[٢٨].

٤-عـــند الأبراج:

مع اقتراب انتهاء الحرب البونية الثانية وتحديدًا في عام ٢٠٤ق.م قام الرومان بنصب كمين للجنود القرطاجيين عند أحد الأبراج القريبة من مدينة "أوتيكا" Utica ثاني أكبر مدن إقريقيا بعد قرطاجة، **ويحتل هذا الكمين أهمية كبيرة بخلاف الكمائن السابقة، وذلك لعدة أسباب:**

- أن الرومان هم من قاموا بنصب الكمين للقرطاجيين، وليس العكس كما حدث في الثلاثة كمائن السابقة، أي إنهم هنا أصحاب المبادرة والمبادأة.
- أن الرومان قد استوعبوا فكرة نصب الكمائن بعيدا عن الغابات، وبخاصة بعد خسائرهم الكبيرة في كميني كل من موقعة تريبيا، وموقعة بحيرة ترزمين.
- والأهم من ذلك، أن الرومان قد بدأوا يكتسبوا خبرة في نصب الكمائن، وظهرت هذه الخبرة في نصبهم للقرطاجيين كمينًا في مكان غير متوقع لهم، بل ويمكن القول: (إن جاز لنا التعبير) إن الرومان بدأو يعتمدوا على نفس السلاح الذي يحاربهم به القرطاجيون في الحرب الدائرة بينهم وهو سلاح نصب الكمائن.

على أية حال، كان قد شهد العام السابق وتحديدا عام ٢٠٥ق.م انتخاب "بوبليوس كورنيليوس سكيبو " Publius Cornelius Scipio Africanus المعروف باسم سكيبو الأفريقي (٢٣٦-ق.م-١٨١ق.م) قنصلًا، وكان يريد الذهاب إلى إفريقية، ولكن مجلس السناتو لم يسمحوا له بالذهاب أبعد من صقلية، ولكنه بعد ذلك حصل على الموافقة بالذهاب إلى إفريقية لمحاربة هانيبعل في عقر داره، ولذا أخذ يخطط للحصول على دعم بعض النوميديين، وبالفعل حصل على دعم نوميديا الشرقية بزعامة الملك "ماسينيسا" Masinissa (٢٣٨ق.م-١٤٨ق.م) ، الذي كان كارها لهانيبعل؛ لأنه كان يدعم الملك "سيفاكس "Syphax (٢٥٠ق.م-٢٠٢ق.م) ملك نوميديا الغربية[٢٩] .

وعندما علم الملك "سيفاكس" بالتقارب بين "ماسينيسا" و"سكيبو" قرر التظاهر بالتصالح مع "ماسينيسا"، إلا أن الأخير لم تنطلِ عليه هذه الخديعة بل تظاهر هو الآخر بقبول الصلح ومن ثم ذهب لمقابة "سيفاكس" و"هاسدروبال" Hasdrubal (شقيق هانيبال) وقد تقابلا بالقرب من مدينة "أوتيكا"، وكان بصحبة "هسدروبال" جيش مكون من عشرين ألفًا من المشاة وسبعة آلاف من الخيول و ١٤٠ فيلًا[٣٠].

أما عن "سكيبو" فقد كان بدوره على علم بهذه التحركات؛ لذا أرسل كتيبة لاستطلاع أخبار أعدائه، كما أنه تمكن من إخضاع بعض المدن المجاورة لأوتيكا، وفي هذه الأثناء قد قرر "ماسينيسا" الذهاب ليلا وفي سرية تامة لمعسكر "سكيبو"، وبالفعل وصل إلى هناك، وبعد أن تبادلا التحية تحدث "ماسينيسا" لسكيبو ناصحًا إياه بضرورة نصب كمين للقوات القرطاجية، على أن يضم هذا الكمين أكثر من ٥٠٠٠ جندى ، أما عن مكانه فكان على بعد حوالي ٣٠ ستاديون(στάδῖον) من أوتيكا وبالتحديد عند أحد الأبراج التي بُنيت في عهد "أجاثوكليس" Agathocles طاغية سيراكوز [٣١].

وإتمامًا للكمين وحتي يتم استدراج القرطاجيين بقيادة "هاسدروبال" إلى مكان الكمين ذهب "ماسينيسا" بنفسه عند بزوغ الفجر إليه، وأخذ يقنعه بضرورة إرسال مجموعة من الفرسان وعلى رأسهم القائد "هانو" (ابن شقيقة هانيبال) لاستطلاع أخبار العدو بالقرب من أوتيكا، بحجة الخوف من أن ينتهز سكان المنطقة اقتراب الرومان منهم وأن يقوموا بثورة على الوجود القرطاجي، ثم وعده "ماسينيسا" إذا نفذ ذلك أنه سوف يتبعه هو وجنوده، وبالفعل استجاب القرطاجيون واختار "هانو" ألفًا من خيرة الفرسان القرطاجيين ، والكثير من الأفارقة، وانطلق لتنفيذ ما تم الاتفاق عليه ، ونتيجة لذلك تبعهم "ماسينيسا" وجنوده، وهكذا وصلوا جميعا للبرج[٣٢].

عند الوصول للبرج قرر هانو التوجه بقوة صغيرة إلى "أوتيكا"، تاركا باقي قواده بالقرب من البرج، وبعد ذلك مباشرة قامت مجموعة من الجنود

الموجودين في الكمين بإظهار أنفسهم للقوة المتبقية من القرطاجيين، وهنا ظهر دور "ماسينيسا" الذي أوعز بدوره للضابط القرطاجي الذي تركه هانو لقيادة المجموعة المتبقية، بأن يهاجم هذه المجموعة الصغيرة من الجنود الرومان، ثم أخذ يتابع الموقف وكأنه يدعمهم، وعند اشتباك القوة القرطاجية مع بعض الجنود الرومان خرج بقية الرومان الموجودين بالكمين، وتمكنوا من محاصرة الأفارقة(٣٣).

أما عن "ماسينيسا" فقد أخذ يحارب بجانب الرومان حتي تمكنوا من قتل القوة القرطاجية جميعها فيما عدا ٤٠٠ تم أخذهم أسري(٣٤)، وهنا أسرع "ماسينيسا" لمقابلة "هانو" وكأنه صديق له، ولكنه قام بمحاصرته وألقي القبض عليه وسلمه إلى معسكر سكيبو، ولقد تم تبادل هانوا بعد ذلك مع والدة "ماسينيسا" والتي كانت قد أُلقي القبض عليها في وقت سابق من قبل "هاسدروبال" (٣٥).

٥-الغابات

على الرغم أن الغابات كانت مكانًا تقليدًيا يألفه الرومان في نصب الكمائن لهم، وكانوا يعرفون هذا الأمر جيدًا، إلا أن هذا لم يمنع وقوعهم فريسة لأحد الكمائن التي نُصبت لهم في إحدى الغابات عام ١٥٣ق.م من قبل إحدى القبائل الإسبانية ، فمن المعروف أن روما تمكنت من السيطرة على إسبانيا وكونت ولايتين هناك منذ عام ١٩٧ق.م، وهما إسبانيا الدانية (Hispania Citerior)، وإسبانيا القاصية Ulterior (Hispania) إلا أن القبائل الإسبانية كانت دائمة التمرد ضد الوجود الروماني حتي تمكن "تيبريوس سيمبرونيوس جراكوس" Tiberius Sempronius Gracchus (٢١٧ق.م-١٥٤ق.م) من وضع تسوية لحكم هذه المناطق، وألزمت بعض المدن الصغيرة بالاستقرار في حدودها وعدم بناء مدن جديدة، وفي حالة البناء يتم دفع جزية يقدرها الرومان ، ولكن بعد ذلك أذاق الحكام الرومان الإسبان الكثير من الظلم الأمر الذي جعلهم يقومون بثورة ضد الوجود الروماني وبخاصة قبيلتي القلتيبري

(Celtiberi) أقوى قبائل إسبانيا الدانية، واللوسيتاني (Lusitani) أقوى قبائل إسبانيا القاصية [٣٦] .

على أية حال، كان قد شهد عام ١٥٤ق.م تجدد التمرد ضد الوجود الروماني عندما قام سكان مدينة "سيجيدا" Segeda إحدى المدن المنتمية لقبائل القلتيبري ببناء جدران حول مدينتهم، وعندما علم السناتو بذلك طالبهم بالتوقف عن بناء الجدران كما طالبهم بدفع جزية، وضروؤة تجهيز فرقة منهم تنضم للجيش الروماني؛ لأنهم قد أخلُّوا بتسوية "جراكوس"، ولقد قوبلت مطالب السناتو بالرفض من سكان المدينة معللين: ذلك بأن تسوية "جراكوس" كانت تلزمهم بدفع الجزية في حالة بناء المدن الجديدة، ولكنها لم تحظر عليهم إعادة تقوية التحصينات الموجودة ، أما بشأن إعداد فرقة للانضمام للجيش الروماني فأشاروا أنها كانت موجودة ولكن تم إطلاق سراحهم من قبل الرومان في وقت سابق[٣٧] .

ونتيجة لرفض السكان هذه المطالب اتخذ مجلس السناتو قرارًا بإرسال القنصل "كوينتوس فولفيوس نوبيليور" Quintus Fulvius Nobilior في عام ١٥٣ق.م على رأس جيش مكون من ٣٠ ألف جندى لمحاربة سكان هذه المدينة وتأديبها، وعندما علم سكان المدينة بقدومه، ولم يكونوا قد انتهوا بعد من بناء حوائط مدينتهم، هربوا مع أطفالهم وزوجاتهم إلى إحدى القبائل المجاورة لهم، ثم اختاروا واحدًا من بينهم يسمي" كاروس" Carus ليتزعمهم في التصدي للقوات الرومانية؛ لأنه كان ماهرا في الحرب كما لو كان قائدًا مخضرمًا، ولم يجد كاروس بدوره وسيلة لتحقيق نصر سريع على الرومان سوى بنصب كمين لهم، وبالفعل وفي اليوم الثالث من اختياره قام بوضع عشرين ألفًا من المشاة وخمسمائة من الفرسان في كمين للرومان في إحدى **الغابات الكثيفة** [٣٨].

بالنظر للمكان الذي اختاره كاروس لنصب الكمين وهو "λόχμην" ": هو اسم مؤنث في حالة المفعول ومشتق من λόχμη[٣٩] نجد أن هذه الكلمة لها ثلاثة معانٍ: الأول: بمعني الدغل، والدغل هو الشجرُ الكثيرُ المُلتَفُّ الذي

يُتَوَارَى فيه لِيَخْتِلَ الصَّيْدَ، والثاني بمعني: أجمة وهي الأرض البرِّيَّة تتكاثف فيها الأشجار،أما المعني الثالث: يعني الأيكة وهي الشَّجر الكثير الملتفُّ[٤٠]، ومعني ذلك أن المعاني الثلاثة تؤكد أن هذا المكان كان يتسم بكثافة الأشجار الملتفة والتي تصلح أن يختبىء فيها الأشخاص، ومن ثم فإن هذا المكان يحقق شرط حجب الرؤية عن الخصم تماما ويصلح للاختباء فيه، كما أنه يتناسب مع العدد الكبير للجنود، فالغابة هي خير مكان لنصب كمين يتسع لهذا العدد الكبير.

على أية حال، اختبأ "كاروس" ومن معه في هذه الغابة الكثيفة وظلوا كذلك حتي مرور الجنود الرومان على مقربة منهم، وهنا انقضوا جميعا على الرومان، واستمرت المعركة لوقت طويل دون أن تحسم، لكن في النهاية استطاع كاروس ومن معه أن يحرزوا نصرًا عظيمًا على الرومان حيث تمكنوا من قتل حوالي ٦٠٠٠ جندي روماني (أي خمس الجيش الروماني)، ولكن لم يهنأ كاروس بهذا النصر طويلا؛ لأنه في نفس اليوم وأثناء ملاحقته لبعض الجنود انقض عليه بعض الفرسان الرومان الذين كانوا يحرسون بعض الأمتعة، وقاموا بقتله، ولكن بعد أن ألحق بالرومان كارثة كبيرة وقد تصادف حدوث هذه الكارثة في نفس اليوم الذي اعتاد الرومان الاحتفال فيه بعيد الإله "فولكان" Vulcan [٤١] ، ولهذا السبب صدر قرار من مجلس السناتو بعدم التجهيز أو القيام بأي معركة في ذلك اليوم ما لم تكن هناك ضرورة[٤٢].

على أية حال، كان لمقتل كاروس وقع كارثي على القبائل الإسبانية الأخري؛ لذا اجتمع على الفور بعض السكان في مدينة نومانتيا Numantia، التي تعرف بقوتها وتم اختيار قائدين آخرين لاستكمال ما فعله كاروس، وكان هذان القائدان هما: "أمبو"Ambo و"ليوكو" Leuco، وكان من نتيجة ذلك دخول القنصل "نوبليور" في سلسلة من المواجهات كانت لصالح القبائل الإسبانية بشكل كبير بفضل عدة كمائن أخري تم نصبها للرومان وتمت الإشارة لها عند أبيان دون التركيز عليها بشكل كبير[٤٣].

٦- الجسور:

شهدت حرب الحلفاء التي انطلقت عام ٩١ق.م والتي خاضتها الشعوب الجبلية فى إيطاليا للحصول على حقوق سكان روما، ثم تطور الأمر وأصبحت هذه الشعوب تحارب من أجل تكوين دولة مستقلة عن روما، أحد الكمائن في عام ٩٠ق.م؛ حيث كانت الحرب على جبهتين الشمالية، والجنوبية. ولقد تم اختيار قنصل لكل جبهة واختار كل قنصل مساعديه، وكانت الجبهة الشمالية بقيادة القنصل "بوبليوس روتيليوس" Publius Rutilius والذي اختار بدوره القائد "جايوس ماريوس"Gaius Marius (١٥٧ق.م-٨٦ق.م) مساعدًا له، ثم قام القنصل "روتيليوس" ببناء جسرين على نهر ليريسLiris، ثم تمركز مع بعض الجنود عند أحد هذين الجسرين(٤٤).

وكان من أبرز القادة المناهضين لروما والمحاربين باسم الحلفاء في هذه الحرب القائد "فيتيوس سكاتو" Vettius Scato الذي قام بدوره ليلًا بنصب كمين بالقرب من الجسر المتمركز عنده القنصل روتيليوس، وفي الصباح الباكر وعندما أمر القنصل روتيليوس جنوده بعبور الجسر خرج من في الكمين وتمكنوا من قتل عددٍ كبيرٍ من الرومان وألقوا بعدد من الجثث في النهر، كما أصيب "روتيليوس" في رأسه وتوفي متأثرًا بجراحه(٤٥).

أما بالنسبة لماريوس الموجود على الجسر الآخر فقد توقع ما حدث وخاصة بعد رؤيته لبعض الجثث الطافية في النهر، ولذا اندفع بسرعة عابرا النهر في اتجاه معسكر "سكاتو" وتمكن من أسر بعض الجنود، أما سكاتو فاضطر أمام ذلك أن يقضي الليلة في مكان المعركة ، ولكنه تراجع في الصباح بسبب قلة المؤن. أما عن الجنود الرومان الذين تم قتلهم وعلى رأسهم القنصل روتيليوس فتم إحضار جثثهم لروما لدفنهم، وكان مشهد الجثث مشهدا مؤثرًا واستمر الحداد عدة أيام ، ونتيجة لذلك اتخذ مجلس السناتو قرارًا بضرورة دفن قتلي الحروب في أماكنهم؛ خشية أن يؤثر مثل هذا المشهد سلبيًّا على باقي الجنود في الجيش، وعندما سمع جيش الحلفاء بذلك أصدر مرسومًا يسمح لهم بنفس الحق (٤٦) واستمرت الحرب حتي وضعت أوزارها بانتصار روما.

ثانيًا: تجهيــز الكــمين :

وفي واقع الأمر لم تمدنا المصادر بمعلومات وافية عن تجهيز كل الكمائن التي تم تناولها سابقا، ولكن قياسًا على بعض الكمائن التي أسهبت المصادر في الحديث عنها يمكن القول: إن تجهيز الكمائن كان المرحلة التالية بعد اختيار المكان وهي تشمل في حد ذاتها عدة خطوات منها:

١- قيادة الكمين:

في ضوء ما توفر من معلومات في المصادر يمكن القول : إنه كانت هناك أكثر من طريقة يتم بها اختيار قائد الكمين، منها على سبيل المثال:

❖ **أن يقوم قائد المعركة باختيار قائد الكمين:**

كان من الممكن أن يقوم قائد المعركة باختيار قائد الكمين كما حدث في كمين موقعة تريبيا عام ٢١٨ق.م ؛ حيث وقع اختيار "هانيبعل" على أخيه من ناحية الأم القائد "ماجو برقا" Mago Barca" (٢٤٣ق.م-٢٠٣ق.م) ليكون قائدًا للكمين، ومن المعروف أن ماجو برقا قد تدرب منذ الصغر على أساليب وفنون القتال، وكان شابًّا متحمسًا لقتال الرومان بشكل كبير [٤٧].

ولعل إسناد "هانيبعل" قيادة الكمين لأخيه "ماجو برقا" يؤكد فكرة أنه كان يحتاج لشخصية يثق فيها بشكل تام وتستطيع القيام بما يطلب منها في الوقت المناسب، على أية حال، قام "هانيبعل" بعد ذلك بعرض أمر اختيار أخيه كقائد للكمين على المجلس الخاص به (يبدو أنهم مجموعة من المستشارين σύνεδροι) وبمجرد أن عُرض عليهم الأمر وافقوا جميعًا، كما أخذ رأيهم في الخطة كاملة، ووافقوا عليها[٤٨].

❖ **قائد المعركة هو قائد الكمين:**

كان من الممكن أن يكون قائد المعركة هو نفسه قائد الكمين كما حدث في موقعة "ترازمين" حيث لم تشر المصادر القديمة أن هانيبعل أسند قيادة هذا الكمين لأحد القادة، بل هو من تولي قيادة الكمين بنفسه[٤٩]، كما حددث نفس

الشيء عندما تولي "فيتيوس سكاتو" قيادة الكمين الذي نصبه للقوات الرومانية عام ٩٠ق.م[٥٠].

❖ **اختيار أفراد يتسمون بالمهارة الحربية :**

كما حدث عام ١٥٤ق.م عندما اختار سكان مدينة سيجيدا أحدهم وكان يسمي كاروس لينصب الكمين للقوات الرومانية في إحدى الغابات الكثيفة[٥١] ؛ لأن كاروس كان يتمتع بالمهارة الحربية كما لو كان قائدًا حربيًّا مخضرمًا، ومعني ذلك أن المهارة الحربية كانت سببا في اختيار كاروس لقيادة هذه المعركة التي كانت كمينا في المقام الأول. وبخلاف هذه الحالات كانت المصادر تشير إلى أنه يتم وضع مجموعة من الجنود في الكمين دون أن توضح قيادة هذه المجموعة، ولكن هذه المجموعة قطعا كانت تلتزم بالأوامر والخطط التي يرسمها لهم قائد المعركة كما حدث في كميني عام ٢٠٨ق.م، وعام ٢٠٤ق.م[٥٢].

٢- جنود الكمين:

كانت الخطوة التالية في مراحل تجهيز الكمين هي: اختيار الجنود الذين يختبئون في الكمين للقيام بالمهمة المطلوبة منهم، وهناك أمران يتعلقان بالجنود: الأمر الأول طريقة اختيارهم، والأمر الثاني: أعدادهم.

❖ **أما عن الأمر الأول: وهو طريقة اختيار جنود الكمين:** فلم توضح لنا المصادر كيفية اختيار الجنود المكلفين بالاختباء في الكمين، إلا في كمين موقعة "تريبيا" عام ٢١٨ق.م حيث أشار "بوليبيوس" إلى: أن "هانيبعل" قام باختيار مائة من الفرسان ونفس العدد من المشاة، ولقد تم اختيارهم من من أقوي وأفضل الجنود الموجودين في الجيش بأكمله ، ثم دعاهم إلى خيمته بعد تناول العشاء، وبالفعل ذهب الجنود إليه في الميعاد المحدد في خيمته، وهنا أخذ "هانيبعل" يخطب فيهم بكلمات حماسية مناسبة للموقف، ثم أمرهم أن يقوم كل جندي على حده باختيار عشرة من الجنود الموجودين معه في

كتيبته حتي يصير عدد الفرسان ألفًا ومثلهم من المشاة، وبالفعل نفذ الجنود الأوامر وقام كل واحد باختيار أفضل عشرة في كتيبته، حتى صار عدد الفرسان ألفًا والكثير من المشاة ، ومعني ذلك أن عدد المشاة لم يصل إلى ألف على حسب رواية بوليبيوس، وإن كان عند ليفيوس قد وصل عدد المشاة إلى ألف(٥٣).

إن طريقة اختيار الجنود المكلفين للقيام بالمهمة والمتمثلة في التمركز في مكان كمين موقعة تريبيا جاءت بطريقة هرمية من القمة إلى القاع (إن جاز لنا هذا التعبير)، حيث قام القائد هانيبعل باختيار أفضل مائة من المشاة والفرسان، ثم كلف كل واحد منهم أن يختار أفضل عشرة من الجنود المرافقين له في الكتيبة، وبالفعل نجح الجنود فيما طلب منهم، واقترب عددهم من الألفين، وضمن هانيبعل بذلك اختيار أفضل الجنود لديه على الإطلاق؛ لأنه قد أشرك الجنود معه في عملية الاختيار فكل جندى كان أدري بكفاءة من معه في الكتيبة، ومن ثم كانت المحصلة النهائية الحصول على ألفين من الجنود المنتقين بعناية ودقة شديدة، ولعل هذا الحرص في الاختيار يعكس أهمية وخطورة المهمة المكلف بها هؤلاء الجنود، وأن هذه المهمة لا تحتمل أي قدر من الخطأ ولذا جاء هذا الاختيار الدقيق.

وبخلاف كمين موقعة "تريبيا" لم تشر المصادر عن كيفية انتقاء جنود الكمين ولكن قياسا على هذا الكمين فكان لا بد من اختيار جنود الكمين من أفضل العناصر الموجودة بالجيش على الإطلاق، سواء من المشاة أو الفرسان، حتي يضمن القائد قيامهم بما يُطلب منهم على أكمل وجه وبكفاءة كبيرة.

❖ **أما عن الأمر الثاني المتعلق بالجنود وهو أعدادهم:** فقد كان عدد الجنود يختلف من كمين لآخر طبقا لمدى حجم مكان الكمين، لأن حجم المكان لابد أن يحقق شرط الاختفاء للجنود، فعلى سبيل المثال لا يمكن وضع عدد كبير من الجنود في مكان صغير، وإلا سينكشف أمرهم. ومعني ذلك أن عدد الجنود لا بد أن يكون متناسبًا مع حجم مكان الكمين فقد كان عدد

الجنود في كمين تريبيا ألفين، وهو عدد يتناسب مع طبيعة المكان المختبئين فيه على ضفتى المجري المائي الصغير(٥٤) ، في حين كان عدد الجنود في كمين عام ٢٠٤ق.م الذي نصب للقوات القرطاجية من قبل الجنود الرومان خمسة آلاف جندى روماني تم تمركزهم بجوار البرج الذي بناه طاغية سيراكوز، وكان هذا البرج يوجد بين مجموعة من التلال ، ولا بد أن يكون حجم هذا المكان متناسبًا مع هذا العدد ومحققًا لهم شرط الاختفاء (٥٥).

في حين قد وصل عدد الجنود في الكمين الذي نصبه كاروس للقوات الرومانية عام ١٥٣ق.م ٢٠ ألفًا من المشاة و٥٠٠ من الفرسان(٥٦) وكان هذا العدد يمثل قوة الجيش بأكمله، ويعد هذا الكمين من الكمائن المهمة؛ لأنه يؤكد فكرة إمكانية أن يكون كل جنود الجيش مشاركين في الكمين، وفي مثل هذه الحالات لا بد أن يكون هناك مكان متسع يستوعب هذا العدد الكبير؛ لذا فإن الغابات الواسعة أفضل مكانٍ لمثل هذا النوع من الكمائن، وهذا ما فعله كاروس عندما قام بوضع كل جيشه في إحدى الغابات الكثيفة لينصب كمينًا للرومان.

٣- الاحتياطات وقت تنفيذ الكمين:

ذكرت المصادر بعض الاحتياطات التي كان يوصي بها القائد جنوده، أو يلتزم بها هو وقت تنفيذ الكمين منها على سبيل المثال:

❖ **وجود أدلاء ὁ δηγοὶ**

في بعض الأحيان كان لا بد من وجود أدلاء يقومون باصطحاب جنود الكمين من المعسكر لمكان الكمين الذي تم اختياره كما حدث في كمين موقعة "تريبيا" عام ٢١٨ق.م حيث تحرك جنود الكمين ليلًا بصحبة أدلاء (ὁ δηγοὶ) لمكان الكمين(٥٧).

❖ **التأكد من الاختفاء تمامًا:**

حرص بعض القادة على توصية جنوده بضرورة الاختفاء بشكل كامل حتى لا يمكن رؤيتهم من قبل الخصم، فعلى سبيل المثال: في كمين موقعة

تربيبا أكد هانيبعل لجنود الكمين ضرورة الإختباء بين النباتات وذكّرهم أن هذه النباتات، وبخاصة نبات العليق كافية لإخفاء الجنود المشاة، وكافية لإخفاء الفرسان وهم ممتطين خيولهم في حال اتخاذ بعض الاحتياطات مثل وضع بعض الأسلحة على الأرض، واخفاء الخوذات تحت الدروع[٥٨]، حتى لا ينكشف أمرهم، وينكشف أمر الكمين برمته.

❖ **إعداد الكمين ليلًا νυκτός :**

كان يتم التجهيز للكمين في جنح الليل حتى يصعب الرؤية من قبل الخصم، فعلى سبيل المثال: عندما تحرك جنود كمين تربيبا إلى مكان الكمين كان ليلًا[٥٩] وعندما قام هانيبعل بالتجهيز لكمين ترازمين وتوزيع الجنود فوق وعلى جانبيهما التلال كان ليلًا، حيث استغرقت مدة عمل هذه التجهيزات ليلة كاملة حتي جعل هذا الوادي كمينًا محكمًا للرومان[٦٠].

❖ **التزام الهدوء ἡσυχία :**

كان التزام الهدوء من بين الاحتياطات التي يجب تنفيذها أثناء التمركز في الكمين، حتى لا ينكشف أمر الكمين من قبل الأعداء، وخير الأمثلة على ذلك عندما التزم القائد القرطاجي هانيبعل الهدوء بعد أن قام بنصب الكمين للقوات الرومانية عند بحيرة ترازمين عام ٢١٧ق.م، وعلى الرغم أن كلمة هدوء "ἡσυχίαν " جاءت مفردة في حالة المفعول، لتوضح أن هانيبعل قد التزم الهدوء، لكنه قطعا لم يلتزم الهدوء بمفرده، ولا بد أن يكون قد التزم الجنود معه نفس الهدوء، لأنه ببساطة إذا التزم القائد الهدوء فهذه إشارة كي يفعل الجميع مثله، خاصة وأن الهدوء والصمت من أهم عوامل نجاح من في الكمين حتي لا يشعر بهم الخصم أثناء اختبائهم في الكمين وينكشف أمرهم[٦١].

❖ **الاتفاق على إشارة σύνθημα :**

إن من أهم الاحتياطات التي كان يتم الاتفاق عليها، وجود إشارة معينة ما بين القائد والجنود الموجودين في الكمين حتى يتم التنفيذ بعدها، ولا بد أن

تكون هذه الإشارة معلومة ومعروفة لمن في الكمين. ولقد وردت هذه الإشارة في كمين بحيرة ترازمين، عندما أعطى "هانيبعل" إشارة متفق عليها للجنود المرافقين له، كما أعطى نفس الإشارة للجنود في الكمين[٦٢].

إن لفظ الإشارة هنا جاءت جمعًا (συνθήματα) في حالة المفعول وهي مشتقة من الاسم المفرد (σύνθημα) ، وهذا يعني أمرين، الأول: أن هذه الإشارة قد تم الاتفاق عليها مسبقا بين القائد والجنود حتى عرفها وألفها الجنود، والثاني: أن القائد هو الذي كان يختار الإشارة ويخبر بها جنوده .

وفي واقع الأمر لم تذكر المصادر نوع الإشارة التي قام بها "هانيبعل" لجنوده هل هي صوتية أم ضوئية، ولكن من المحتمل أن تكون إشارة صوتية مثل الاتفاق المسبق على أحد الأصوات والكلمات، وتستبعد الباحثة أن تكون إشارة ضوئية لأنه لم يكن لديه الوقت الكافى لإشعال النيران قبل التنفيذ مباشرة.

٤- الاتفاق على ساعة التنفيذ:

كان لا يعلم يوم التنفيذ ووقته بالتحديد سوي قائد المعركة، وعندما كان يكلف أحدًا بقيادة الكمين كان يقوم بإخباره بساعة التنفيذ كما فعل القائد "هانيبعل" مع أخيه "ماجو" وأعطاه تعليماتٍ بشأن الوقت المحدد لتنفيذ خطة الهجوم أو ساعة الصفر(إن جاز لنا هذا التعبير) في كمين موقعة "تريبيا "عام ٢١٨ق.م[٦٣].

ثالثًا: الهدف من نصب الكمائن:

ولما كانت الكمائن تشتمل على عنصري المباغتة والمفاجأة، فكانت تحقق العديد من الأهداف لمن يقوم بنصبها، من هذه الأهداف على سبيل المثال:

١- إثارة الذعر وقتل أكبر عدد ممكن من الجنود:

إن مجرد ظهور القوة المختبئة في الكمين على غفلة يُحدث مزيدًا من الارتباك في صفوف العدو، ويثير فيهم الذعر والخوف، وبالتالي يفقدهم

السيطرة على مجريات الحرب، ويعرضهم للقتل، تماما مثلما حدث في موقعة "تريبيا"، حيث نجح كمين القرطاجيين في إثارة مزيد من الذعر والخوف للجنود الرومان بل وحصد الكثير من الأرواح، حتى فقد الجيش الروماني فى نهاية هذه المعركة ثلثي عدده[٦٤] .

وهو ما حدث بالضبط في موقعة ترازمين حيث فقد الجيش أكثر من خمسة عشر ألف قتيل[٦٥]، وقد تكرر هذا الموقف في كمين عام ١٥٣ق.م الذي نُصب بواسطة القبائل الإسبانية للقوات الرومانية، حيث نجح هذا الكمين في حصد ستة آلاف من الجنود الرومان[٦٦]، ولعل هذا الأمر يؤكد أن المعارك التي كان يوجد بها كمين يرتفع عدد الضحايا فيها بشكل كبير؛ نتيجة عنصري المباغتة والمفاجأة.

يضاف إلى ذلك أن الكمائن كانت تحقق هدفًا مهمًّا وهو: قتل الشخصيات الكبيرة؛ وبخاصة القناصل، منها على سبيل المثال: القنصل "فلامينيوس" الذي قُتل في كمين بحيرة ترازمين[٦٧] والقنصلان "ماركيلوس كلاوديوس"، و"كوينقتيوس كريسبينوس" اللذان راحا ضحية كمين عام ٢٠٨ق.م[٦٨]، والقنصل "روتيليوس" الذي راح ضحية كمين عام ٩٠ق.م[٦٩]، ولعل مقتل شخصيات على هذه الدرجة من الأهمية كان يشيع الإحباط في نفوس الجنود، مما يؤثر على أدائهم في الحروب بشكل لا يمكن إنكاره.

٢- الحصول على الغنائم :

كان الحصول على الغنائم من الأهداف التي تنصب من أجلها الكمائن، ففي عام ١٨٩ق.م وبعدما انتهت روما من محاربة الأيتوليين والانتصار عليهم، وفرضها معاهدة عليهم لصالحها، اتجه الجيش الروماني بعد ذلك بقيادة القنصل مانليوس Manlius عبر طراقيا عائدا لروما، وكانت برفقته الغنائم التي حصلوا عليها، ولمَّا كان الطريق الذي يسير عليه الجيش ضيقًا وغير ممهد فقد تم تقسيم الجيش إلى قسمين ووضعوا بينهما العربات المحملة بالأموال والغنائم والأمتعه الخاصة بالجيش[٧٠].

علم بعض سكان طراقيا بالغنائم التي كانت بحوذة الجيش الروماني، فقاموا بنصب كمين لهم من أجل السيطرة عليها، حيث اجتمع حوالي ١٠٠٠ من الطراقيين وقسموا أنفسهم إلى جزئين وأخذوا ينتظرون الجيش الروماني في نهاية الطريق الضيق، مختبئين بين بعض التلال المحيطة بهم، وعندما لمحوا مقدمة الجيش تركوها تمر دون الاعتداء عليها، ولكن عندما ظهرت العربات المحملة بالغنائم قام الطراقيون بمهاجمتها وتمكنوا من قتل العديد من حراس العربات والأمتعة، وقاموا بنهب العربات والسيطرة على العديد من الخيول المجهزة والكثير من الأموال وسط صراخ باقي حراس الأمتعة(٧١).

ونتيجة لهذا الصراخ، انتبة بقية جنود الجيش الروماني، وهنا انقض كل من في الكمين واشتبكوا مع الجيش؛ ونتيجة لذلك تعرض عدد كبير من الجنود الرومان للذبح بسبب الغنائم والأحمال التي كانوا يحملونها والتي شكلت عائقًا أمامهم في القيام بواجباتهم القتالية، وعلى الرغم من ذلك حاول الرومان الدفاع عن أنفسهم، ولكن كان الطراقيون الأعلم بطبيعة الأرض والممرات الضيقة أكثر تأثيرا عليهم؛ لأنهم يقومون بالهجوم بشكل مباغت ثم ينسحبون للاختباء بين الصخور، وظلت المعركة على هذه الوتيرة، وقتل عدد كبير من الجانبين، ولكن بحلول الظلام انسحب الطراقيون ليس هربا من الجراح والموت، بل لأنهم قد نهبوا من الغنائم والأموال بقدر ما أرادوا، وبذلك حققوا هدفهم من الكمين بشكل كبير(٧٢) .

٣- قطع المؤن:

كان من أهم أهداف نصب الكمائن قطع المؤن اللوجستية للجيش سواء كانت أعلافًا أو حطبًا أو غيرها، لأن السيطرة عليها سوف يؤثر بالسلب على أي جيش يتعرض لذلك، ففي إحدى جولات الحرب المقدونية الثالثة (١٧٢-١٦٨ق.م)، وتحديدًا في عام ١٧١ق.م علم الملك المقدوني "بيرسيوس" Perseus(٢١٢ق.م-١٦٦ق.م) أن العلافين التابعين للجيش الروماني قد خرجوا بدون حراسة لجمع الأعلاف، فانتهز هذه الفرصة وقام بنصب كمين

لهم، وكانت ترافقه قوة عسكرية قوامها ٣٠٠٠ فارس، مما أسفر في النهاية عن تمكنه من السيطرة على ألف عربة من العربات المصاحبة لهم، وأسر البعض منهم(٧٣).

كما أنه في عام ١٤٤ق. م في إحدى جولات حروب روما ضد القبائل الإسبانية، بقيادة البروقنصل "فابيوس مكسيموس إيميليانوس" Fabius Maximus Emilianus, تم نصب كمين لجنوده من أحد قادة قبائل اللوسيتاني وكان يسمي "فيرياثوس" Viriathus حيث قام بنصب كمين لقتل الحطابين الذين خرجوا من معسكر الجيش الروماني من أجل الحصول على الأخشاب، وتمكن بالفعل من قتل عدد كبير منهم وبث الرعب في الناجين(٧٤).

أما في عام ١٤١ ق.م قام قنصل هذا العام "قوينتوس بومبيوس" Quintus Pompeius بمحاصرة "تومانيتا" وحاول إحكام الحصار على المدينة بشكل كبير، ولذا أمر بعض جنوده بتحويل مجري أحد الأنهار عن المدينة حتي يُعرض سكانها للمجاعة فيضطروا إلى الاستسلام، إلا أنهم فشلوا في ذلك بسبب السكان الذين انقضوا عليهم في جموع غفيرة فمنعوهم(٧٥).

عقب ذلك مباشرة قام النومانتيون بنصب كمين للرومان بجوار معسكرهم بهدف قتل مجموعة العلافين الرومان المكلفين بالبحث عن العلف، ويبدو أن النومانتيين قاموا بتوزيع الأدوار بينهم في هذا الكمين بحيث تدخل مجموعة في مناوشات مع العلافين وتظل مجموعة في الكمين بعيدة عن الأنظار متأهبة للقيام بالهجوم على أى جنود آخرين يأتون لمساعدة العلافين، وهو ما حدث بالفعل حيث جاءت مجموعة من الجنود الرومان كي تساعد العلافين، فانقض هنا كل من كان في الكمين عليهم، وعلى إثر ذلك فقد العديد من الجنود والنبلاء الرومان حياتهم، وقتل العديد من العلافين(٧٦).

كما أنه في إحدي جولات حرب "بومبيوس" ضد "كوينتوس سرتوريوس"(٧٧) Quintus Sertorius) (١٢٣ق.م-٧٢ق.م) تلك الحرب التي امتدت من عام ٧٦ق.م حتي ٧٢ق.م وتحديدا في عام ٧٣ق.م قام

"سرتوريوس" بنصب كمين لفيلق كامل من جنود بومبيوس الذين كانوا يقومون بجمع الغذاء للدواب المرافقة لهم(٧٨).

كما شهدت الحروب الغالية في الفترة من (٥٩-٥١ق.م)، أكثر من كمين بهدف قتل جامعى الأعلاف والأخشاب التي كانت تستخدم للوقود من أجل طهي الطعام أو التدفئة، وكان يتم جمع هذه الأخشاب من الغابات القريبة من المعسكر الروماني بقيادة يوليوس قيصرJulius Caesar (١٠٠ق.م-٤٤ق.م)، ويمكن القول: إن نصب الكمائن والفخاخ من قبل القبائل الغالية كانت من أهم المشكلات الحقيقية التي واجهها قيصر أثناء هذه الحروب، وعلى الرغم أن هذه الكمائن قد أثرت على أسلوب حرب قيصر وأصبح أكثر حيطة في الحرب ضدهم (كما سيتضح)، إلا أن هذه الكمائن لم يتم تناولها بشكل من الاهتمام والتركيز (٧٩).

رابعًا: احتياطات الرومان لمواجهه الكمائن:

من خلال العرض السابق يتضح أن الرومان كانوا أكثر عُرضةً لنصب الكمائن لهم من قبل الشعوب التي حاربوها، ومرجع ذلك ببساطة هو معرفة أهل هذه البلاد بطبيعة وطبوغرافية بلادهم، أما عن سبب وقوع الرومان في كمائن القرطاجيين فمرجعه مهارة القرطاجيين في نصب الكمائن واستثمار الطبيعة الجغرافية لصالحهم. على أية حال عانى الرومان من هذه الكمائن في حروبهم بشكل كبير وفقدوا المئات والمئات من جنودهم، وأبرز قناصلهم، وفي المقابل أكسبتهم هذه الكمائن خبرة لا بأس بها وأصبح لديهم هاجس الخوف من نصب هذه الكمائن؛ لأنها لا تمكنهم من إظهار شجاعتهم بشكل كامل، وتحدث في صفوفهم الارتباك والذعر بسبب عنصر المفاجأة؛ ولذا بدأ الرومان وخاصة منذ الحرب البونية الثانية يتخذون بعض الاحتياطات التى تمكنهم من تفادى هذه الكمائن على قدر المستطاع، **منها على سبيل المثال:**

- عندما أمر القنصل "لوكيوس إيميليوس باولوس" Lucius Aemilius

Paullus أحد قادة الحرب البونية الثانية وقنصل عام ٢١٦ق.م بإنشاء معسكر منفصل في مقدمة المعسكر الرئيس للجيش الروماني على ضفاف نهر "أوفيديوس" Aufidius أثناء موقعة "كاناى" Cannae في عام ٢١٦ق.م، وكان الهدف الأساسي من إنشاء هذا المعسكر هو حجب الرؤية عن العدو تجاه معسكر الجيش بصفة عامة، وحتى لا تتم رؤية الجنود الرومان المكلفين بجمع المؤن أثناء خروجهم من المعسكر(٨٠).

- كما أنه خلال الحرب البونية الثانية أصبح القادة الرومان أكثر اطمئنانًا للحرب في السهول المفتوحة والمكشوفة؛ لأن الحروب في مثل هذه الأماكن تمكنهم من إظهار شجاعتهم الحقيقية بعيدا عن الخوف من نصب الكمائن لهم(٨١) ، ولعل من أبرز القادة الذين أدركوا ذلك كان القائد بوبليوس كورنيليوس سكيبو، ومعني ذلك أن القادة الرومان قد أدركوا خطورة الكمائن التي تُنصب لهم لما تحمله من عنصري المباغتة والمفاجأة اللذين يحدثان فيهم الارتباك، ولا يمكنهم من إظهار شجاعتهم، ومهارتهم القتالية بخلاف الأماكن المكشوفة والمفتوحة التي تمكنهم من إظهار قدراتهم وشجاعتهم في الحرب، ونتيجة لذلك يمكن القول: إنه أصبح من أهم ملامح الفكر العسكري للرومان في هذه الفترة تفضيل الحروب في الأماكن المكشوفة والمفتوحة، وهو ما سوف ينعكس قطعا على تخطيطهم للحروب فيما بعد.
- كما كانت للكمائن التي تعرض لها الرومان في الحرب البونية الثانية دور كبير في جعلهم أكثر حذرًا خشية الوقوع في مزيد من الكمائن، وأصبح هذا الهاجس بداخلهم، وبداخل قادتهم وعلى رأسهم بوبليوس كورنيليوس سكيبو(٨٢)، ولعل وجود هاجس الخوف من الوقوع في الكمائن هو الذي دفعهم لأخذ احتياطاتهم بل والمبادرة في نصب كمين للقرطاجيين كما حدث في عام ٢٠٤ق.م
- كان بعض القادة الرومان أيضًا يصدرون أوامر صارمة للعلافين وجامعي

الحطب بضرورة العودة بالأعلاف عبر طرق غير ممهدة وضيقة وملتوية حتى يصعّب على العدو ملاحقتهم فيها؛ كما أن هذه الأماكن يصعب نصب الكمائن فيها؛ لأن العدو إذا تمكن من مهاجمتهم وهم محملون بالأعلاف ستكون خسائرهم كبيرة وفادحة، ولعل خير من نصح العلافين بذلك القائد بوبليوس كورنيليوس سكيبو أيمليانوس" Cornelius Scipio Aemilianus Publius(١٨٥ق.م-١٢٩ق.م) أثناء حصاره "نوماتيا" عام ١٣٤-١٣٣ق.م[٨٣].

- وكان "يوليوس قيصر" في حروبه مع الغال شديد الحذر من نصب الأكمنة[٨٤]، كما اكتسب هو وجنوده في هذه الحروب خبرةً لا بأس بها لتفادى الكمائن، فعلى سبيل المثال في إحدي جولاته عام ٥٧ق.م ضد قبيلة ريمي Remi الغالية إحدى قبائل البلجيق Bellovaci ، قامت هذه القبيلة بنصب كمين لهم في إحدى الغابات، ونجحت في استدراج الرومان لمكان الكمين، إلا أن الرومان استطاعوا أن يفتكوا بمن في الكمين؛ لذا جاء على لسان قيصر: إنه في هذه المعركة قد تعلم رجالنا: فحص المكان، واليقظة في التعامل مع جنودهم، والاعتدال وعدم الاندفاع في متابعتهم[٨٥].

بالنظر لما ذكره قيصر نجد أنه ذكر ثلاثة دروس قد استفادها هو وجنوده من هذا الكمين وهي: استكشاف وفحص المكان locisexploratis ، واليقظة diligentius والاعتدال في متابعة العدو (عدم التهور) hostemmoderatius insequi cedentem وهي دروس مستفادة قد تعلمها القائد وجنوده، وقطعا سوف يتم تطبيقها في الحروب اللاحقة، ويذكر بها جنوده دائما على سبيل التعبئة النفسية لهم، بل يمكن القول: إن هذه الدروس أصبحت تشكل ملمحًا لاستراتيجية حروب قيصر فيما بعد ضد القبائل الغالية.

وأخيرًا في إطار حروب أوكتافيوس Octavius (٦٣ق.م-١٤م) ضد القبائل الليرية عام ٣٤ق.م، قامت إحدي هذه القبائل وهي قبيلة لابيديس lapydes باجتياح أكويليا Aquileia إحدى المدن الرومانية القديمة في

إيطاليا على رأس البحر الأدرياتيكي، وقامت بنهب المستعمرة الرومانية تيرجيستيوس Tergestus، لذا قرر أوكتافيوس عقابهم، إلا أنهم قاموا بنصب كمين له في إحدى الغابات، وهو ما توقعه أوكتافيوس حيث كان يساوره الشك ὑποπτεύω في حدوث مثل هذا الأمر(٨٦).

إن الشك الذي ساور أوكتافيوس في احتمالية نصب كمينٍ له في إحدى الغابات من قبل هذه القبيلة كان إحدى وسائله الاحتياطية والاحترازية التي مكنته من الفتك بهذا الكمين؛ حيث أرسل بعض جنوده للتمركز على جانبي بعض التلال المحيطة بالغابة، ولذا عندما خرج سكان القبيلة من الكمين تم قتل الغالبية العظمي منهم من قبل الجنود الرومان الذين انقضوا عليهم من فوق التلال، أما الناجون من السكان فقد فروا هاربين داخل الغابة بعيدا عن مدينتهم(٨٧). وبنفس سياسية الحذر تمكن أوكتافيوس من كشف أحد الكمائن التي نصبت له في إحدى الغابات من قبل القبائل الليرية أيضًا عام ٢٩ق.م(٨٨).

مما سبق يتضح : أن الرومان قد اكتسبوا خبرة في مواجهة الكمائن بسبب كثرة الكمائن التي نُصبت لهم سواء من القرطاجيين أو الغاليين أو الإسبان، وغيرهم من الشعوب التي حاربوها، وظهرت هذه الخبرة في قدرتهم على نصب بعض الكمائن لخصومهم في أماكن جديدة بعيدة عن الغابات، كما ظهرت في اتخاذهم الكثير من الاحتياطات مثل الحذر واليقظة، وفحص المكان، وتفضيل الحروب في الأماكن المكشوفة، **ولذا من الإنصاف القول:** إن الكمائن التي نُصبت لهم قد أثرت على تفكيرهم العسكري وأضفت علي عقيدتهم القتالية ملامح راسخة، ظهرت في كثير من جولاتهم الحربية التي اتسمت بدورها بكثير من الريبة والشك والحذر، واتخاذ الاحتياطات بكل الوسائل الممكنة لتلافي الوقوع في شرك الكمائن.

الخاتـــمة:

من خلال العرض السابق يمكن التوصل لعدة نتائج:

- استغل خصوم الرومان وخاصة القائد القرطاجي "هانيبعل" معرفة الرومان بالكمائن في الغابات وبدأ في في نصب كمائن لهم في أماكن جديدة وغير متوقعة مثل الأراضي الخالية من الأشجار، والممرات الضيقة، وفوق التلال، كما شهدت فترة الدراسة كمائن أخرى نصبت للرومان في الغابات، وعند الجسور.
- كانت هناك العديد من التجهيزات لإعداد الكمين منها: اختيار مكان مناسب، واختيار قائد للكمين قد يكون قائد المعركة بصفة عامة، أو أحد الأشخاص الذين يتسمون بالمهارة الحربية، وكان من ضمن التجهيزات أيضًا اختيار الجنود المشاركين في الكمين بشرط أن يكونوا من أفضل العناصر الموجودة بالجيش.
- كانت هناك احتياطات يتم مراعاتها أثناء نصب الكمين مثل: وجود أدلاء يقوموا باصطحاب جنود الكمين لمكانه، والتأكد من الاختفاء تماما، والالتزام بالهدوء، والاتفاق على إشارة يتم تنفيذها قبل الهجوم، وتحديد ساعة الصفر.
- كان مكان الكمين جزءًا لا يتجزأ من مكان المعركة بشرط أن يحقق عنصر الاختفاء للجنود، ويكون حجمه متناسبًا مع عدد الجنود.
- تعلم الرومان منذ عام ٢١٨ق.م نصب الكمائن في أماكن أخري غير الغابات، ولذا نجحوا في نصب كمين للقوات القرطاجية قرب انتهاء الحرب البونية الثانية وبالتحديد عام ٢٠٤ق.م عند أحد الأبراج بالقرب من مدينة أوتيكا.
- استفاد الرومان من نصب الكمائن لهم وتعلموا العديد من الأمور التي

تمكنهم من تفاديها منها: الحذر والشك واتخاذ خطوات احترازية مسبقة، واليقظة، وفحص المكان، وتفضيل الحروب في الأماكن المكشوفة؛ لأنها تمكنهم من إظهار مهارتهم القتالية، وكل هذه الأمور التي اكتسبوها أصبحت من أهم ملامح فكرهم العسكري في كثير من جولاتهم الحربية .

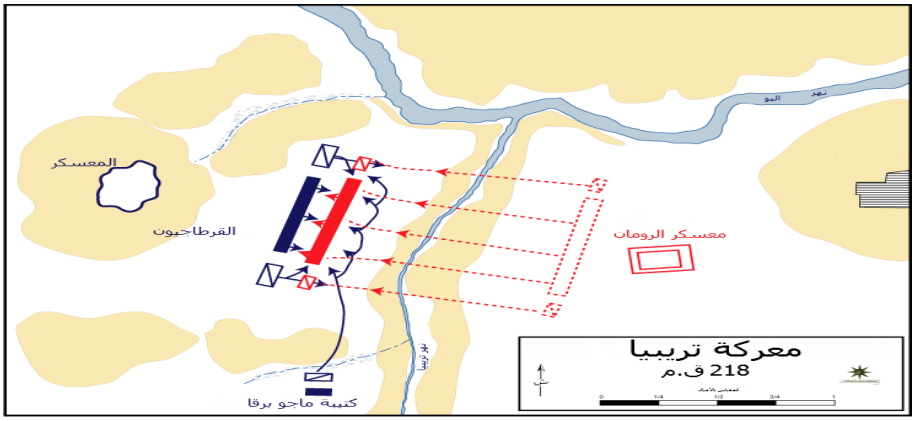

كمين ماجو بمعركة تريبيا:

N. Bagnall. The Punic Wars 264-146 BC, Oxford,2002,P.53.

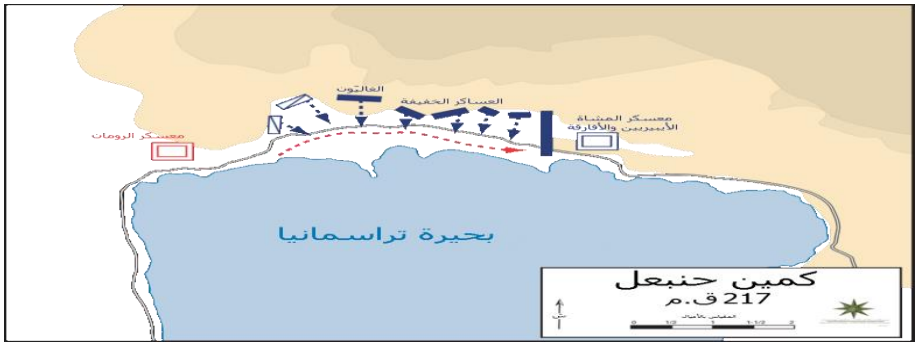

كمين بحيرة ترازمين:

N. Bagnall. The Punic Wars 264-146 BC, Oxford,2002,P.54.

الهوامش:

(١) المعجم الوسيط، ص٧٩٩.

(2) Liddell & Scott's, GD.P.216, 479,583.

(3) http://www.perseus.tufts.edu/hopper/morph. Latin Word Study Tool.

(٤) للمزيد عن حروب الرومان ضد القبائل الغالية، يمكن الرجوع إلى :

P. Erdkamp, Acompanion to the Roman Army, London,2007; P. Southern, The Roman Army A Social and Institutional History, New yourk,2006; J.B. Mccall, The Cavalry of the Roman Republic , London and New York,2002; W. Walbank, The Cambridge ancient history, The Rise of Rome to 220 B.C. Cambridge University Press, 2008; P.Erdkamp, ‘‘Polyb bius, the Ebro Treaty, and the Gallic Invasion of 225 B.C.E‹‹, *C.Ph*, Vol. 104, 2009, pp. 495-510.

(5) Polyb .,3.71.2.

"οἱ γὰρ Ῥωμαῖοι πρὸς μὲν τοὺς ὑλώδεις τόπους ὑπόπτως εἶχον διὰ τὸ τοὺς Κελτοὺς ἀεὶ τιθέναι τὰς ἐνέδρας ἐν τοῖς τοιούτοις χωρίοις, τοῖς δ᾽ ἐπιπέδοις καὶ ψιλοῖς ἀπεπίστευον ".

(٦) للمزيد عن الحروب البونية، يمكن الرجوع إلي:

A. Goldsworthy, The PunicWars, London,2000; D. Hoyos, A Companion to the Punic Wars Blackwell Publishing, 2011; A. Goldsworthy, The Fall of Carthage, The Punic wars 265-146 BC, London,2007; N.Bagnall,The Punic Wars 264-146 BC, Oxford,2002;C. Steinby, ‘ ‘War at sea in the second Punic war‘‘, Anc. Soc., Vol. 34, 2004, pp. 77-114 ; M. Bellomo, ‘‘Polyb bius and the outbreak of the first Punic war a Constitutional issue‘‘, SCO,Vol. 59. 2013, pp. 71-90; G. Ianziti, ‘‘Between Livy and Polybius: Leonardo Bruni on the First Punic War‘‘, *MAAR*, Vol. 51/52 ,2006/2007, pp. 173-197.

(7) Polyb ., 3.71.1-3.

(8) Livy., 2. 11; 3. 43. 7 6; 8. 36;. 22 42.11;9.25; 28. 22; 31 .36; 35. 29; 38. 9; 39 .1; 42. 47.5; 43 23.5;. 1 1;4.7, ;. 2 .11.9; ;. 3 43.5; 5 18.7; 10 .4. 10;. 9 16.9; 31. 26.2; 39. 25.10; 42 48.2;. 1. 5.3; 2 11.7; 21 25.8; 22 3.5; 3. 3.8; 4 39.8; 6. 23.6; Plut., Antony, 46; Plut. Cato the Younger ,41; Plut. Cicero .11; Plut.Lucullus.,4; App., Macedonian Affairs,1.2; App., Mithridatic Wars ,4.24; App., Syrian Wars,7.42.

(٩) كانت الحرب البونية الثانية من أعنف الحروب بين قرطاج وروما، وكان هدف قرطاج منها هو: استعادة مكانتها البحرية في البحر المتوسط ؛ ولذا أعد القائد القرطاجي هانيبعل جيشا كبير واستطاع عبور جبال الألب، ووصل إلى الأراضي الرومانية بعد مسيرة خمسة أشهر، وقد تعرض جنوده لعواصف ثلجية أطاحت بالكثيرين، ولذا كانت المحصلة النهائية لجيشه حوالي ٢٠ ألفًا من المشاة وستة الآف من

الفرسان، (أي فقد حوالي نصف قواته التي تحرك بها) ،كانت من أوائل المناوشات بين الطرفين عقب عبور هانيبعل لنهر البو فقد تقابل مع القوات الرومانية على أحد فروع النهر وبالتحديد فرع تيكينوس، واستطاع هانيبعل الانتصار على القوات الرومانية، إلا أن خسائرهم كانت قليلة لذا انطلق هانيبعل للجولات التالية، وبصفة عامة استمرت الحرب البونية الثانية من ٢١٨ق.م إلى-٢٠٣ق.م) ذاقت روما في كثير من جولاتها كأس الهزيمة إلى أن انتصرت في النهاية في موقعة زاما. للمزيد عن الحروب البونية يمكن الرجوع إلى : محمد السيد عبدالغني: التاريخ السياسي للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتي ١٣٣ق.م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦، صص٣٥٩-٣٦٧.

(١٠) أحمد مرزوق: ''حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا ٢١٨ - ٢١٦ ق. م. خلال الحرب البونية الثانية''، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر،العدد ١٢، ٢٠١٧م، ص٨٦-٨٩.

(١١) كان هانيبعل قد أرسل مجموعة من الرسل للغاليين (الكلت) من أجل التعاون والحصول على مساعدتهم ضد الرومان، وبالفعل تم له ما أراد، وقد حصل على العديد من المعلومات عن طبيعة حروبهم ضد الرومان، وقد ساعدته هذه المعلومات في اختيار مكان هذا الكمين بعيدا عن توقعات الرومان، للمزيد عن استفادة هانيبعل من الغال في حربه ضد الرومان، يمكن الرجوع إلى: Polyb .3.34.,

(12) Polyb ., 3.71.1.

"πάλαι δὲ συνεωρακὼς μεταξὺ τῶν στρατοπέδων τόπον ἐπίπεδον μὲν καὶ ψιλόν, εὐφυῆ δὲ πρὸς ἐνέδραν διά τι ῥεῖθρον ἔχον ὀφρῦν, ἐπὶ δὲ ταύτης ἀκάνθας καὶ βάτους".

(13) Polyb ., 3.71.2-3.

(14) https://en.wikipedia.org/wiki/Bramble.

(١٥) قام هانيبعل في فجر يوم معركة تريبيا باختيار مجموعة من الفرسان النوميديين الذين لهم قدرة كبيرة على التحمل، ووعدهم بالمكافآت في حال إظهارهم الشجاعة، ثم كلفهم بمهمة عبور نهر تريبيا لمباغتة الجنود الرومان واطلاق وابل من السهام عليهم، في محاولة لإغرائهم لملاحقتهم وعبور النهر بسرعة،، وقبل العبور قام الجنود بدهن أجسادهم بطبقة من الزيت لتكون طبقة عازلة تحميهم من شدة برودة المياه، وكان الهدف الأساسي من ذلك هو جر الجنود الرومان للاشتباك دون استعدادهم للمعركة وقبل تناولهم وجبة الإفطار ، في حين قد استعد هانيبعل مع بقية جنوده وأمرهم بتناول وجبة الإفطار وفحص أسلحتهم، وخيولهم وأصبحوا على أهبة الاستعداد للمعركة، وبالفعل كان لهانيبعل ما أراد وتم استدراج الرومان بقيادة القنصل "تبريوس سيمبرنيوس لونجيوس"، وعبروا النهر في جو شديد البرودة والثلوج تتساقط عليهم، وكانت أجسادهم ترتعش من شدة الجوع والبرد، وبعد عبور النهر وهم في حالة سيئة أصبحوا وجها لوجه مع هانيبعل وبدأت الحرب من خلال المشاة الذين حققوا انتصارا بارعا متبعين أسلوب الكر والفر ثم تفرق الجنود الرومان بعيدا عن المشاة في جيش هانيبعل أملا في النجاة، ولكنهم لم يدركوا أنهم يقتربون من الكمين، ولم يلاحظوا أحدا فيه، وهنا جاء دور الجنود المتمركزين في الكمين

والذين بدورهم تركوا الجنود الرومان يمرون، ثم انقضوا عليهم محدثين خسائر بشرية كبيرة. للمزيد يمكن الرجوع إلى: Polyb .,3.72–73.

(١٦) عن المنطقة الفاصلة بين المعسكرين، ورسم توضيحي لمكان الكمين، يمكن النظر إلى الخريطة ص٣٧.

(١٧) محمد السيد عبدالغني: المرجع السابق، ص٣٦٨.

(18) Livy,. 22 4.2-4.

"et iam pervenerat ad loca nata insidiis, ubi maxime montes Cortonenses Trasumennus subit. Via tantum interest perangusta, velut ad id ipsum de industria relicto spatio; deinde paulo latior patescit campus; inde colles insurgunt".

(١٩) محمد عبدالغني، المرجع السابق، ص ٣٧٠.

(٢٠) عن طبيعة هذا المكان، يمكن النظر للخريطة ص٣٧.

(21) Livy., 3.84.

(22) App., Hann. 2.10.

(23) Plut., Marcellus, 28.3.

(24) Plut., Marcellus.,29.1-2.

(25) Plut., Marcellus.,29.3-4.

(26) Plut., Marcellus.,29.6–7

(٢٧) فرح "هانيبعل" بمقتل "ماركيلوس" فرحا كبيرا، وذهب بنفسه لرؤية جثته، وقام بأخذ خاتم ماركليوس الذي كان يضعه في أصبعه (على سبيل التذكار إن جاز لي التعبير)، ثم أمر بحرق جثمانه الذي قتل بشرف، وبعد ذلك أمر جنوده بجمع المتبقي من الجثمان المحترق ووضعه في إحدى الجرار ووضع عليها إكليلًا من الزهور وأمر بإرسالها إلى ابن ماركيلوس، ولكن أثناء حمل هذه الجرة من بعض الجنود تنفيذًا لأوامر هانيبعل انقض بعض النوميديين عليهم في محاولة للسيطرة عليها، فرفض حاملو الجرة إعطاءها لهم، ولذا نشب بينهما صراع ، وفي وسط هذا الصراع وقعت الجرة وتبعثرت عظام وبقايا ماركيلوس بعيدا عنهم وعلى نطاق واسع، وعندما سمع هانيبعل بذلك أمر بمعاقبة النوميديين الذين فعلوا ذلك، ولكنه لم يهتم بجمع البقايا المتناثرة من جثة ماركيلوس معتبرا أن هذا أمر قدري لا فرار منه، وبذلك حرم ماركليوس من الدفن بهذه الطريقة الغريبة:

"τοῖς μὲν Νομάσιν ἐπέθηκε δίκην, οὐκέτι δὲ κομιδῆς ἠ συλλογῆς τῶν λειψάνων ἐφρόντισεν, ὡς δὴ κατὰ θεόν τινα καὶ τῆς τελευτῆς καὶ τῆς ἀταφίας παραλόγως οὕτω τῷ Μαρκέλλῳ γενομένης".

للمزيد يمكن الرجوع إلى:.Plut., Marcellus. 30.1-3

(28) Plut., Marcellus., 29.9.

"Κρισπῖνος ἐκ τῶν τραυμάτων οὐ πολλὰς ἡμέρας ἐπιβιώσας. καὶ πάθος τοῦτο Ῥωμαίοις συνέπεσε πρότερον οὐ γεγονός, ἀμφοτέρους ἐξ ἑνὸς ἀγῶνος τοὺς ὑπάτους ἀποθανεῖν".

(29) App.Pun., 3.13.

(30) App.Pun., 3.13.

(31) App.Pun .,3.14.

" Σκιπίων δὲ κατ᾽ ὀλίγους ἔπεμπεν ἐπιχειρεῖν τῷ Ἀσδρούβᾳ, καί τινες αὐτῷ καὶ τῶν πόλεων προσεχώρουν. νυκτὸς δὲ λαθὼν ὁ Μασσανάσσης ἦκεν ἐπὶ τὸ στρατόπεδον τοῦ Σκιπίωνος, καὶ δεξιωσάμενος αὐτὸν ἐδίδασκε τῆς ἐπιούσης ἔς τι χωρίον ἀπὸ τριάκοντα σταδίων Ἰτύκης, ἔνθα πύργος ἔστιν Ἀγαθοκλέους ἔργον τοῦ Συρακοσίων τυράννου, μὴ πλείους πεντακισχιλίων ἐνεδρεῦσαι".

(32) App.Pun .,3.14.

(33) App.Pun .,3.14.

(34) App.Pun .,3.14.

(35) Dio Cass,17.67.1.

(٣٦) لقد قام الرومان خلال الحرب البونية الثانية بعدة فتوحات في إسبانيا وكان الهدف منها هو حرمان قرطاج من بعض قواعدها في إسبانيا، فضلا عن الاستفادة من الثروات المعدنية فيها. ولذا منذ عام ١٩٧ق.م قام الرومان بتحويل الأقاليم التي سيطروا عليها في إسبانيا إلى ولايتين وأطلقوا عليهما إسبانيا القاصية وإسبانيا الدانية، وتم تعيين حاكم "برايتور" على كل ولاية، ولكن سكان هذه المناطق كانوا يقومون بثورات من فترة إلى أخري إعتراضا على الوجود الروماني، حتي تمكن تيبريوس سيمبرونيوس جراكوس (٢١٧ق.م-١٥٤ق.م) بتهدئة الأوضاع خلال عام ١٧٩ق.م وبفضل قوة شخصيته عقد تصالحًا مع معظم القبائل ووضع تسوية بفضلها سيطر الرومان على شبة الجزيرة الإسبانية بأجمعها فيما عدا المناطق التي تطل على المحيط الأطلنطي لفترات طويلة. للمزيد يمكن الرجوع إلى: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان منذ أقدم العصور حتي ١٣٣ق.م، الجزء الأول، ١٩٧٨، ص ٣٢٣.

(37) App.Hisp.,9.44.

(38) App.Hisp .,9.45.

"Κάρον αὐτῶν Σεγηδαῖον, πολεμικὸν εἶναι νομιζόμενον, αἱροῦνται στρατηγόν. ὁ δὲ τρίτῃ μετὰ τὴν χειροτονίαν ἡμέρᾳ δισμυρίουςπεζοὺς καὶ ἱππέας πεντακισχιλίουςἔς τινα λόχμην ἐνεδρεύσας".

(39)http://www.perseus.tufts.edu.

(٤٠) المعجم الوسيط: ص٦١٠.

(٤١) كان المعبود "فولكان" واسمه باللاتينية Volcānus هو معبود النار عند الرومان، سواء النيران الصادرة عن البراكين أو الصحاري أو أي نيران أخري، ولقد أقيم له معبد في منطقة الفورم وكان يحتفل به سنويا في يوم ٢٣ أغسطس، ولقد تم اختيار هذا اليوم لأنه في فصل الصيف ويتسم بالحرارة الشديدة، وكان من طقوس عبادته تقديم الأضاحي من الحيوانات الصغيرة، وتقديم الأدعية له بتجنب الحرائق. للمزيد

يمكن الرجوع إلى:

WWW. Oxford Dictionary of the Classical World.

(42) App.Hisp.,9.45.

(٤٣) في إحدى جولات القنصل نوبيليورس ضد مدينة نومانتيا في إسبانيا جهز قوة من ٣٠٠ من الفرسان وعشرة أفيال، وكان سكان المدينة لم يسبق لهم رؤية الفيلة من قبل فحدث لهم ذعر شديد ، لذا فروا هاربين وتحصنوا في مدينتهم، ولذا فرض عليهم القنصل نوبيليورس الحصار، وأثناء الحصار قام أحد سكان المدينة بضرب أحد الأفيال على رأسه بحجر ضخم ، الأمر الذي تسبب له في ذعر شديد وارتفع صراخه، وبدأ يجري ويدمر كل شئ أمامه دون تفرقة بين الصديق والعدو، ولعل تصرفات هذا الفيل تسببت في الذعر بين باقي الفيلة وفعلت نفس الشيء وبدأت الفيلة تدهس الجنود الرومان تحت أقدامهم، وتشتت الرومان بهذه الطريقة، الأمر الذي أدي لهزيمتهم وقتل منهم ٤٠٠٠ جندى وثلاثة أفيال، في حين كانت خسارتهم حوالي ٢٠٠٠ جندي. وبعد أن تعافي نوبيليور من هذه الكارثة قرر القيام بهجوم آخر على الإسبان الذين تجمعوا في مدينة أكسينيوم Axinium، ولكن كانت تقابله عقبة كبيرة وهو أنه فقد العديد من جنوده، ولذا أمر قائد فرسانه القائد بيسيوس Biesius ، بالذهاب لبعض القبائل المتحالفين معه ويطلب منهم المساعدة وإمداده ببعض الفرسان، وبالفعل حصل على المساعدات، وأثناء عودته تعرض لكمين من القلتيبري أدي إلى مقتله هو وعدد كبير من الجنود الرومان، ثم تعرض الرومان بعد ذلك لعدة كمائن أخري. للمزيد يمكن الرجوع إلى: App.Hisp.,9.45-47.

(٤٤) إبراهيم نصحي: المرجع السابق، ص٢٦٣.

(45) App.B Civ., 1.5.43.

"Σκάτων αὐτοῖς ἀντεστρατοπέδευε παρὰ τὴν Μαρίου μάλιστα γέφυραν ἔλαθέτε νυκ τὸς περὶ τὴν Ῥουτιλίου γέφυραν λόχους ἐν φάραγξιν ἐνεδρεύσας. ἅμα δ᾽ἔω τὸν Ῥουτίλιον διελθεῖν ὑπεριδὼν ἀνέστησε τὰς ἐνέδρας".

(46) App.B Civ .1.5.43.

(47) Polyb , 3.71.6.

(48)Polyb .3.71.5.

"Καρχηδονίων στρατηγὸς κοινολογηθεὶς Μάγωνι τἀδελφῷ καὶ τοῖς συνέδροις περὶ τοῦ μέλλοντος ἀγῶνος, συγκατατιθεμένων αὐτῷ πάντων ταῖς ἐπιβολαῖς".

(49) Polyb . ,3.83.1-4.

(50) App.B Civ .,1.5.43.

(51) App. Hisp.,9.45.

(52) Plut. Marcellus , 29.3-5; App. Pun.,3.15.

(53) Polyb . ,3.71.7; Livy., 21. 54.4.

(54) Polyb .,3.71.7; Livy., 21. 54.4.

(55) App., Pun.,3.15.

(56) App., Hisp.,9.45.

(57) Polyb .,3.71.9.
(58) Polyb ., 3.71.4.
(59) Polyb .,3.71.9.
(60) Polyb ., 3.83.5.
(61) Polyb .,3.83.5.
(62) Polyb .,3.84.1.
" τὰ συνθήματα καὶδιαπεμψάμενος πρὸς τοὺς ἐν ταῖς ἐνέδραις συνεπεχείρει πανταχόθεν ἅμα τοῖςπολεμίοις".
(63) Polyb .,3.71.9.
(64) Polyb ., 3.10-11.
(65) Livy., 3.84.
(66) App. Hisp.,9.45.
(67) Polyb . ,3.10-11.
(68) Plut. Marcellus.,29.9.
(69) App. B Civ. ,1.5.43.
(70) Livy. ,38. 40.7.
(71) Livy.,38.40.8.
(72) Livy.,38.40.9-15.
(73) Livy.,42.65.1–3.
(74) App.Hisp.,11.65.

(٧٥) تعرض جيش قوينتوس بومبيوس في نومانتيا لبعض الكوارث من أهمها: نجاح السكان في قتل عدد كبير من الجنود الرومان عن طريق تصويب السهام عليهم، وقتل بعض القادة العسكريين وكان من أبرزهم قائد يسمي أوبيوس Oppius ، فضلًا عن المناخ القارص والبرودة ، وتفشى بعض الأمراض بين جنوده ومن أهمها: النزلات المعوية γαστήρ (وهو ما يعرف باسم الزحار) والتي توفي الكثيرون على إثررها. للمزيد يمكن الرجوع إلى .Hisp. App. ,13.78

(76) App. Hisp., 13.78.

(٧٧) كان "سرتوريوس" سابيني الأصل ، وكانت لديه خبرة عسكرية كبيرة، ولقد حارب تحت إمرة ماريوس ضد قبائل القلتيبري (١٠٢-١٠١ق.م) كما اشترك في الحرب ضد الحلفاء الإيطاليين، ولقد تم تعيينه كويتورًا في غاليا عام ٩١ق.م ولقد تمتع بمكانة كبيرة أثارت مخاوف سوللا لذا رفض ترشحه لمنصب تريبون العامة، لذا ارتمي سرتوريوس في أحضان ماريوس ولكنه كان يرفض استخدام العنف ، ثم أسند إليه عام ٨٣ق.م حكم إسبانيا وهناك حاز على ثقة الإسبان، الأمر الذي أقلق "سوللا "فقام بتجريده من حقوقه المدنية وأرسل له من يحاربه عام ٨١ق.م، ثم توقفت الحرب ونشبت مرة أخرى عام ٧٦ق. وتارة يكون الانتصار لبومبيوس وتارة يكون لسرتريوس، وظل الوضع كذلك حتى تم اغتيال سرتوزريوس على

يد أحد أنصاره وبعدها تمكن من بومبيوس من السيطرة على إسبانيا. للمزيد انظر: إبراهيم نصحي: تاريخ الرومان، الجزء الثاني، ص٤٢٥-٤٣٢.

(٧٨) وعندما انتقلت الحرب إلى جنوب إيطاليا، وتحديدًا لمدينة لاورو Lauro استطاع "سرتوريوس" السيطرة عليها بل وتدميرها، وفي أثناء حصار هذه المدينة وقعت حادثة طريفة، حيث أهان أحد جنود "سرتوريوس" إحدى نساء هذه المدينة، وحاول أن يرتكب فعلا مشينا رغما عنها ، إلا أنها نجحت أن تفلت منه بعد أن وضعت أصابعها في عينه وفقأتها، وعندما علم سرتوريوس لم يقم بإعدام هذا الجندي فقط، بل قام بإعدام كل المجموعة المرافقة لهذا الجندى؛ لأنها شاهدت هذا دون أن تحرك ساكنا، على الرغم من كونهم من الرومان.App.Hisp.,1.13.109

"ἐκ δὲ τῆς πολιορκίας γυνή τις ἐνυβρίζοντος αὐτῇ τοῦ λαβόντος παρὰ φύσιν τοῖς δακτύλοις ἐξέτεμε τὰς ὄψεις: καὶ ὁ Σερτώριος τοῦ πάθους πυθόμενος τὴν σπεῖραν ὅλην, ἀγέρωχον ἐς τὰ τοιαῦτ᾽ εἶναι νομιζομένην, καίπερ οὖσαν Ῥωμαϊκὴν κατέκανε".

(79) Caes. BGall. 5.17;7.16;8.12;2.11.

(80) Polyb .,3.110.10–11.

(81) Livy. ,24 .14.6.

(82) App.Pun. ,16.107.

(83) App. Hisp.,14.87.

(84) Caes. BGall. ,2.11.2.

(85) Caes. BGall. ,8.12.7.

(86) App.Ill.,4.18.

(87) App.Ill., 4.18.

(88) App.Ill .,5.27.

قائمة المصادر والمراجع بالبحث:

أولًا : المصـــادر الأدبية:

Appian**:** Civil Wars, Horace White. London. Macmillan and CO., LTD. 1899**.**

The Foreign Wars. Horace White. New York. The Macmillan Company. 1899: Hannibalic War , Punic Wars , Macedonian Affairs , Mithridatic Wars , Wars in Spain, Syrian Wars**.**

Caesar: Caesar's Gallic War. Translator. W. A. M.Devitte. Translator. W. S. Bohn. 1st Edition. New York. Harper & Brothers. 1869. Harper's New Classical Library.

Dio Cassius: Dio's Roman History. Cassius Dio Cocceianus. Earnest Cary. Herbert Baldwin Foster. William Heinemann, Harvard University Press. London; New York. 1914.

Livius: Livius. With An English Translation. Cambridge. Cambridge, Mass., Harvard University Press; London, William Heinemann, Ltd. 1940: no copyright notice.

Plutarch: Cato the Younger : Plutarch's Lives. with an English Translation by. Bernadotte Perrin. Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd. 1919.8.

Cicero : Plutarch's Lives. with an English Translation by. Bernadotte Perrin. Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd. 1919. 7.

Lucullus Plutarch's Lives. with an English Translation by. Bernadotte Perrin. Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd. 1914. 2.

Marcellus, Plutarch's Lives. with an English Translation by. Bernadotte Perrin. Cambridge, MA. Harvard University Press. London. William Heinemann Ltd. 1917. 5.

Polybius:Histories. Polybius. Evelyn S. Shuckburgh. translator. London, New York. Macmillan. 1889. Reprint Bloomington 1962.

ثانيًا : المراجع الأجنبية:

Bagnall. N :The Punic Wars 264-146 BC, Oxford, 2002.

‘‘Bellomo. M.: Polybius and the outbreak of the first Punic war a Constitutional issue‘‘, SCO,Vol. 59. 2013

Erdkamp. P.: A companion to the Roman army, London, 2007.

‘‘Polybius, the Ebro Treaty, and the Gallic Invasion of 225 B.C.E, C.Ph, Vol. 104, 2009.

Goldsworthy.A :The PunicWars, London, 2000.

The Fall of Carthage, The Punic wars 265-146 BC, London,2007.

Hoyos. D.: A Companion to the Punic Wars Blackwell Publishing, 2011.

"Ianziti. G. Between Livy and Polybius: Leonardo Bruni on the First Punic War", MAAR, Vol. 51/52 ,2006/2007.

Mccall. J.B :The Cavalry of the Roman Republic , London and New York, 2002

Southern P.: The Roman ArmyA Social and Institutional History, New yourk, 2006.

Steinby. C.: "War at sea in the second Punic war‘‘, Anc. Soc., Vol. 34, 2004.

Walbank. W.: The Cambridge ancient history, The Rise of Rome to 220 B.C. Cambridge University Press, 2008.

ثالثًا: المراجع العربية:

إبراهيم نصحى: تاريخ الرومان، الجزء الأول والجزء الثانى، منشورات الجامعة الليبية بكلية ، الآداب،١٩٧٣م.

أحمد مرزوق "حنبعل وانتصاراته الأربعة في إيطاليا ٢١٨ – ٢١٦ ق. م. خلال الحرب البونية الثانية"، مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، الجزائر، العدد ١٢ ، ٢٠١٧م.

محمد السيد عبدالغني: التاريخ السياسيى للجمهورية الرومانية منذ نشأة روما حتي ١٣٣ق.م، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ٢٠٠٦.

رابعًا: المعاجم ومواقع الإنترنت:

المعجم الوسيط، ج١، ط٢.

Liddell-Scott, Greek-English Lexicon, Oxford,1889.
http://www.perseus.tufts.edu/hopper/morph. Latin Word Study Tool.
WWW. Oxford Dictionary of the Classical World.
https://en.wikipedia.org/wiki/Bramble.